الباب الثاني

بحوث في القراءات

وفيه أربعة فصول

١ ـ الأحرف السبعة .
٢ ـ الأصول والفرش .
٣ ـ رسم المصحف ـ شبه وردود .
٤ ـ صور من الاحتجاج للقراءات .

الفصل الأول

الأحرف السبعة

الأحرف السبعة والقراءات السبع

من العبارات الشائعة على ألسنة الدارسين للقراءات ومن هم بسبب منها : عبارة الأحرف السبعة ، وعبارة القراءات السبع ، ووقع شيء من الخلط واللبس على غير أهل التحقيق .

فما أصل العبارتين ؟ وما العلاقة بينهما .

الأحرف السبعة :

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[1] زاد مسلم : قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة من الأمر الذي يكون واحداً ، لا يختلف في حلال ، ولا حرام[2] . .

وقد ذكر ابن الجزري أنه تتبع طرق هذا الحديث في جزء مفرد

---

(١) رواه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ـ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف .

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين .

جمعه لذلك ، وبلغ عدد رواته عنده نحو عشرين صحابياً منهم أبو بكر وعمر وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل .

كما نقل عن أبي عبيد القاسم بن سلام قوله بتواتر هذا الحديث[1] .

وأمام هذا النص نحاول أن نفهم أمرين :

أولهما : المقصود بالحرف .

الآخر : المقصود بالسبعة .

المقصود بالحرف

حرف كل شيء طرفه ، ووجهه ، وحافته ، وحَدُّه ، وناحيته ، والقطعة منه ، والحرف أيضاً واحد من حروف التهجي كأنه قطعة من الكلمة ، ويطلق على القراءة من القراءات التي يقرأ بها القرآن كقولهم : حرف أبي بن كعب ، وحرف ابن مسعود ، وقراءة كل إمام تسمى حرفاً[2] .

وفي بيان علم القراءات لمعنى الحرف لا يبتعدون عن المعنى اللغوي كثيراً .

قال ابن الجزري نقلاً عن الحافظ أبي عمرو الداني : معنى الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم ههنا يتوجه إلى أمرين :

أحدهما : أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات ؛ لأن

---

(١) النشر جـ ١ ص ٧٠ ت محيسن .

(٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٣٠ ، ١٣١ والإبانة عن معاني القراءات ص ٤١ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٧ ، وتفسير الطبري ج ١ ص ٤٧ .

الأحرف جمع حرف في القليل كفلس وأفلس ، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه)[1] فالمراد بالحرف هنا الوجه ، أي على النعمة والخير ، وإجابة السؤل والعافية ، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله ، وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضر ترك العبادة وكفر ، فهذا عبد الله على وجه واحد ، فلهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات ، والمتغايرة من اللغات أحرفاً على معنى أن كل شيء منها وجه .

والوجه الثاني من معناها : أن يكون سمى القراءات أحرفاً على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره ، وكان كسبب منه ، وتعلق به ضرباً من التعلق كتسميتهم الجملة باسم البعض منها ، فلذلك سمى صلى الله عليه وسلم القراءة حرفاً ، وإن كان كلاماً كثيراً .

ثم يعقب ابن الجزري على كلام الداني بأن كلا الوجهين محتمل احتمالاً قوياً ، ثم يشير إلى قول عمر رضي الله عنه : سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

وهذا النص يؤيد الوجه الثاني .

المقصود بالسبعة

اتفق العلماء على أنه لا يعني بالأحرف السبعة أن يكون الحرف الواحد مقروء على سبعة أوجه لأن ذلك لا يوجد ـ كما قال ابن الجزري

---

(١) سورة الحج/ ١١ .

(٢) النشر ج ١ ص ٧٣ ـ ٧٤ مع تصرف يسير .

في النشر ـ إلا في كلمات يسيرة مثل (أف ـ جبريل ـ أرجه ـ هيهات ـ هيت) .

لكنهم اختلفوا في المقصود بالأحرف السبعة .

الرأي الأول :

هي سبع لغات من لغات العرب .

وذلك على وجهين :

أولهما : كما تختلف لغات العرب في تناول معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بألفاظ وتعبيرات مختلفة على ضوء هذه اللغات ، وقد روى هذا الفهم عن محمد بن السائب الكلبي وسليمان بن مهران الأسدي (الشهير بالأعمش) .

والآخر : أن القرآن الكريم في جملته لا يخرج عن سبع لغات من لغات العرب هي أفصحها فأكثره بلغة قريش ، ومنه ما هو بلغة هذيل أو ثقيف أو هوازن[1] .

وقد أيد هذا الرأي أبو عبيد القاسم بن سلام بقوله : ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات ، بل اللغات السبع مفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن ، وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيباً »[2] .

واختلف العلماء في تحديد اللغات السبع .

فقيل هي لغات قريش ، وهذيل ، وتميم ، والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر[3] وهذا قول أبي حاتم السجستاني .

---

(١) الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، وممن قال به مكي بن أبي طالب راجع الإبانة ، ص ٧١ .

(٣) المرجع السابق .

وقال أبو عبيد : قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن[1] .

ويمكن أن يعترض على الرأي القائل بأنها اللغات السبع : باختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان كما ثبت في الصحيح ، وكلاهما قرشي ، ولغتهما واحدة .

الرأي الثاني

أنها سبعة من المعاني ، أو الأحكام ، أو طرائق التعبير التي جاءت في الكتاب العزيز .

والقائلون بهذا لهم عدة تفسيرات .

فمنهم من قال : هي ، الحلال ، والحرام ، والمحكم ، والمتشابه ، والأمثال ، والإنشاء ، والإخبار .

ومنهم من قال : هي : الناسخ، والمنسوخ ، والخاص والعام ، والمجمل والمبين ، والمفسر .

ومنهم من قال : هي : الأمر ، والنهي ، والطلب ، والدعاء ، والخبر ، والاستخبار ، والزجر .

ومنهم من قال : هي : الوعد والوعيد ، والمطلق والمقيد ، والتفسير ،والإعراب، والتأويل[2] .

وقد يحتج لهذه الآراء بحديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد ، وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب ، على سبعة أحرف : زجر وأمر ،

---

(١) النشر ج ١ ص ٧٥ ، وراجع الإبانة لمكي ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) النشر ج ١ ص ٧٥ ـ ٧٦ .

وحلال ، وحرام ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال[1] . .

ويمكن أن نناقش هذا الرأي بما يأتي :

١ ـ الصحابة الذين اختلفوا ورفعوا الأمر للنبي عليه الصلاة والسلام مثل عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم وأبي بن كعب ، وابن مسعود ، وعمرو بن العاص لم يختلفوا في تفسيره ، ولا أحكامه ، وإنما اختلفوا في قراءة حروفه[2] .

٢ ـ يبدو التكلف في عدّ الأبواب السبعة بحيث تفتقد التناسق ، ووحدة الأساس الذي قامت عليه القسمة ؛ إذ هي تخلط بين الأحكام الشرعية ، وطرائق التعبير ، وعلوم القرآن .

٣ ـ من جهة الحديث الشريف . . نرى الأبواب المذكورة فيه غير الأحرف السبعة ، على أن الحديث ذكر الأحرف والأبواب ثم فسر الأبواب ، أو يكون ما ذكره من حلال وحرام « لا تعلق له بالسبعة الأحرف ولا بالسبعة الأبواب بل إخبار عن القرآن هو كذا وكذا ، وجاءت الصفات السبع اتفاقاً[3] .

الرأي الثالث :

العدد لا مفهوم له ، ولا تراد به حقيقته ، والعرب يطلقون لفظ

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي ، ورواه الطبراني من حديث عمرو بن أبي سلمة المخزومي .

(٢) يقول مكي في هذا المعنى : إن عمر إنما سمع هشاماً يقرأ غير قراءته ، فأنكر عليه ، ولم يره بغير حكما ، ولا بحرف معنى في القرآن ، ويدل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تخاصموا إليه في القراءة أمرهم بالقراءة ، فلما سمعوا صوب قراءتهم ، ولم يسألهم عن معان مستورة في نفوسهم ، إنما سمع ألفاظهم فصوبها . . الإبانة ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(٣) النشر ج ١ ص ٧٦ .

السبع ، والسبعين ، والسبعمائة ، ولا يريدون حقيقته العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر ، كما جاء في الآيات (كمثل حبة أنبتت سنابل) (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) وفي الحديث الشريف : « الإيمان بضع وسبعون سنة » « إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة »[1] .

ويرى ابن الجزري أن الحديث بالصورة التي ورد بها يعني أن العدد بحقيقته مراد ومقصود ، لأن وجوه اختلاف القراءات يمكن حصرها في سبعة كما سنشير في الرأي التالي[2] .

ويفسر آخرون من علماء القراءات بأن التحديد بالسبعة بأن أصول قبائل العرب تنتهي إلى سبعة ، أو أن اللغات الفصحى سبع .

الرأي الرابع

ذهب إليه ابن الجزري[3] ؛ وهو أنها سبعة أوجه من الاختلاف لا تخرج عنها قراءة ، على النحو التالي .

١ ـ اختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى مثل : (يحسَب) بفتح السين وكسرها .

٢ ـ اختلاف في الحركات مع تغيير في المعنى دون الصورة مثل (فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ »[4] . بنصب الميم من آدم أو رفعها ، وفتح التاء من كلمات » أو ضمها .

٣ ـ أن يكون التغيير في الحروف مع التغيير في المعنى دون

---

(١) الاتقان ج ١ ص ٤٥ والنشر ج ١ ص ٧٧ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق مع إختصار وتصرف ص ٧٧ ، وما بعدها .
(٤) سورة البقرة/ ٣٧ ، الأولى قراءة الجمهور والأخرى قراءة ابن كثير .

الصورة مثل قوله تعالى[1] : ﴿ هنالك تبلو ﴾ قرىء (تتلو) .

٤ ـ تغير في الحروف مع تغير في الصورة لا المعنى نحو (الصراط والسراط) (وبصطة وبسطة) .

٥ ـ تغير في الحرف والصورة والمعنى واحد وتختلف عن الصورة السابقة بأن هذه حدث فيها تقديم وتأخير بين حروفها مثل (يأتل ويَتَأَلَّ)[2] والسابقة استبدل فيها حرف بحرف .

٦ ـ التغيير بالتقديم والتأخير . قرىء ﴿ وقاتلوا وقتلوا ﴾[3] وقرىء ﴿ وقتلوا وقاتلوا ﴾ كما قرىء ﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾[4] بالتقديم والتأخير وقرىء ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾[5] ﴿ وجاءت سكرة الحق بالموت ﴾ .

٧ ـ التغيير بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾[6] قرىء ﴿ وأوصى ﴾ .

الرأي الخامس

ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي . . ويرى فيه وجوه التغاير السبعة التي ترجع إليها القراءات غير الوجوه التي ذهب إليه ابن الجزري ، وهي في مجملها أمور نحوية وتصريفية .

١ ـ اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث

---

(١) سورة يونس/ ٣٠ .

(٢) سورة التوبة / ٢٢ قرأ الجمهور « يأتل » وقرأ أبو جعفر (يتأل) على وزن يتفعل بمعنى الحلف فيهما (اتحاف فضلاء البشر ص ٢٢٤ .

(٣) آل عمران/ ١٩٥ .

(٤) التوبة/ ١١١ .

(٥) ق .

(٦) البقرة/ ١٣٢ .

مثل : ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ قرىء ﴿ لأمانتهم ﴾[1] بالإفراد .

٢ ـ الاختلاف في التصريف كقوله تعالى ﴿ وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ قرىء ﴿ ربُّنَا باعَدَ ﴾ رب (مبتدأ) باعد فعل ماض كما قرىء بَعَّدَ) فعل ماض مضعف[2] .

٣ ـ الاختلاف بالإبدال سواء أكان إبدال حرف بحرف أم كلمة بكلمة .

مثال الأول : ﴿ ننشزها ﴾ قرىء ﴿ ننشرها ﴾ بالراء مع فتح النون الأولى[3] .

ومثال الثاني : ﴿ كالعهن المنفوش ﴾ قرأ ابن مسعود ، وهي قراءة أحادية شاذة (كالصوف المنفوش ﴾[4] .

٤ ـ الاختلاف في التقديم والتأخير في الحروف مثل : ﴿ أفلم ييأس ﴾ قرىء (﴿ يأيس ﴾[5] وفي الكلمات مثل : ﴿يقتلون ويقتلون ﴾[6] قرىء بالتقديم والتأخير .

٥ ـ الاختلاف بالزيادة والنقص مثل قوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾[7] قرأ نافع وابن عامر ، وأبو جعفر بدون الواو ، والقراءتان صحيحتان .

---

(١) المؤمنون/ ٨ .
(٢) سبأ / ١٩ وراجع اتحاف فضلاء البشر ، ص ٣٥٩ .
(٣) البقرة/ ٢٥٩ ، وراجع غيث النفع في القراءات السبع للصفاقس ص ٧٢ .
(٤) القارعة/ ٥ .
(٥) سورة الرعد/ ٢١ وراجع الاتحاف ص ٢٧٠ .
(٦) التوبة/ ١١١ وراجع الاتحاف/ ص ٢٤٥ .
(٧) آل عمران / وراجع الاتحاف ص ١٧٩ .

٦ ـ الاختلاف في وجوه الإعراب ، مثل : ﴿ فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ ﴾[1] وقد أشرنا إلى القراءتين فيها وهي اختلافات الإعرابين بين الفاعل والمفعول به .

٧ ـ اختلاف لغات العرب في التفخيم والترقيق ، والهمز والتسهيل ، والإظهار والإدغام ونحو ذلك .

هذا وقد اتجه مكي ابن أبي طالب إلى رأي يكاد يجمع بين ما ذهب إليه الرازي وابن الجزري من وجوه التغاير السبعة ونسبه إلى ابن قتيبة (ت ٢٧٦) هـ وابن شريح (٤٧٦هـ) وأكبر الظن أن الرازي وابن الجزري أخذا رأييهما منه .

الرأي السادس :

ذهب إليه شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ، المعروف بأبي شامة المقدسي[2] المتوفى سنة ٦٦٥ .

يرى أن الأحرف السبعة هي الأصول السبعة المطردة في القراءات وهي :

١ ـ وصل ميم الجمع وهاء الضمير وعدم ذلك .
٢ ـ الاظهار والإدغام .
٣ ـ والمد والقصر .
٤ ـ وتحقيق الهمز وتسهيله .
٥ ـ والإمالة وعدم الإمالة .
٦ ـ والوقف بوجوهه المتنوعة : الإسكان ، والروم ، والإشمام .

---

(١) البقرة/ ٣٧ وراجع سراج القاريّ المبتدي لابن الناصح ص ١٩١ المكتبة التجارية الكبرى .

(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ط . بيروت ص ١٢٧ .

٧ ـ الياءات من حيث الفتح والإسكان والاثبات والحذف .

وهذا الرأي على جانب كبير من الوجاهة وحسن الفهم إلا أن المفروض أن كل القراءات تندرج تحتها لكـنا نلاحظ أن هذا التفسير مقصور على الأصول المطردة في القراءات ولا يتناول « الفرش » وتحته قراءات كثيرة غير مطردة .

الرأي السابع

أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع .
وهو رأي بالغ الضعف لأمور :

١ ـ القراءات كثيرة ومتعددة ولا حصر لها .

٢ ـ الحديث منذ عصر النبوة وإطلاقه على القراءات غير سديد ، كما أن فيه تحديداً لمحتواه وإخلالاً بمضمونه العظيم الذي يبرز مدى التنوع التعبيري في أسلوب القرآن الكريمَ مع استبقاء سلامة المعنى واستقامته ، وبعده عن التناقض ، واحتفاظه بخصائص الفصاحـة ، وأعظم مقومات البلاغة .

٣ ـ أن هذا رأي ناشيء عن لبس في الفهم أساسه ما شاع بين الأوائل من تسمية القراءة حرفاً .

رأي وتعليق

بعد أن عرضنا لهذه الآراء التي حاول أصحابها تفسير الحديث الشريف ، وبيان ما جاء فيه عن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم أستطيع أن أقرر ما يأتي :

١ ـ الرأي القائل بأنها القراءات السبع نشأ عن وهم سرى إلى نفوس الكثيرين بعد أن قدم ابن مجاهد كتابه « السبعة » وفيه قرر اختياره

للسبعة القراء ، أو القراءات السبع ، ومن هنا لا تصلح تفسير سديداً للحديث الشريف .

٢ ـ رأي أبي شامة المقدسي بأن العدد لا مفهوم له رأي قائم على نظر سديد ، وخبرة بأساليب العرب ، وهو رأي مقبول تماماً لأن أئمة القراءات ذكروا أن القراءات المقبولة كثيرة ومتعددة ، وسياق الحديث لا يعني أن العدد مقصود برغم ما قرره العلامة ابن الجزري في نقد هذا الرأي[1] .

٣ ـ يمكن ـ بعد هذا ـ أن تكون الآراء الأخرى مجتمعة داخلة في مفهوم الحديث صالحة لتفسيره ، فأصول القراءات داخلة في مفهوم الحروف السبعة ، ووجوه الإعراب والتصريف كذلك ، واختلاف لغات العرب لا شك أنه داخل في معنى هذا الحروف ليتأتى التيسير المراد وكذا اختلاف الأحكام الشرعية ، وتنوع الأساليب .

ومن التكلف الوقوف عند رأي واحد منها على أنه الصحيح أو الأولى بالقبول .

كيف وجدت الأحرف السبعة في القرآن ؟

على ضوء ما أسلفنا من وجوه قيلت في توجيه الأحرف السبعة ، وما انتهى إليه اختيارنا نريد أن نشير إلى أمرين :

---

(١) لاحظت تكلفاً واضحاً في تفسير الحروف السبعة بسبعة أحكام ، أو سبع لغات ، أو سبعة وجوه من ذلك رأي الإمام الرازي ، الذي ذكره : اختلاف الأسماء في الافراد والتثنية ، ثم ذكر الاختلاف في الإبدال ، ثم ذكر الاختلاف في الزيادة والنقص مع أنها كلها من قبيل الاختلاف في التصريف ، فكيف يصل العدد إذن إلى سبعة ؟ !

أولهما : كيف وجدت الأحرف السبعة في القرآن ؟

الآخر : هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع هذه الأحرف .

وللإجابة عن السؤال الأول نقول على ضوء ما سبق .

إن الأحرف السبعة موزعة في القرآن الكريم ، في قراءاته الكثيرة ، والمتعددة والتي نقلت إلينا نقلاً صحيحاً ، متواتراً بأسانيدها المعتد بها ، وموافقتها لوجوه قوية في العربية ، وكذا لرسم المصاحف العثمانية .

وليس معنى هذا أنها منحصرة في قراءة أو رواية واحدة .

على أن وجهة نظر العلماء في هذا تختلف باختلاف رأيهم في معنى الأحرف السبعة .

وأما وجود الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية ، فقد اختلف رأي العلماء في ذلك على وجهين :

ذهب جماعة من القراء والفقهاء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة ، وحجتهم أن الأمة لا يصح أن تهمل شيئاً من الحروف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم ، كما أن المصاحف العثمانية نقلت عن المصاحف التي كتبها أبو بكر وعمر، وأمر بترك ما سواها فلا بد أن تكون جامعة لهذه الحروف لأنه لا يصح النهي عن القراءة ببعضها ، كما أجمعوا على أنه لا يجوز ترك شيء من القرآن .

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل ، متضمنة لها ، لم تترك حرفاً منها[1] .

---

(١) النشر ج ١ ص ٨٥ .

الحكمة في تعدد الحروف والقراءات

وراء اختلاف الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم ، ووعتها قراءاته المتنوعة فوائد كثيرة ، وحكم بالغة . .

أولها : تيسير القراءة على القراء .

يقول مكي بن أبي طالب في شرح هذا الجانبِ : وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومئونة شديدة ، فيسر اللَّه عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات[1] في القرآن بمعان متفقة ومختلفة ليقرأ كل قوم على لغتهم على ما يسهل عليهم من لغة غيرهم ، وعلى ما جرت به عادتهم ، فقوم جرت عادتهم بالهمز وقوم بالتخفيف ، وقوم بالفتح ، وقوم بالإمالة ، وكذلك الإعراب واختلافه في لغتهم »[2] .

فاختلاف الاحرف ـ إذن ـ بهذه الصورة يسر على القارئين أسباب القراءة برغم اختلاف لغاتهم .

ثانيها : فيها برهان عظيم على سمو بلاغة القرآن ، ومنزلته في الإيجاز ؛ إذ يترتب على ذلك سعة الوعاء المعنوي للآية ، فتحمل معاني عدة متآخية ، كما تدعم أحكاماً متعددة تفهم من الآية .

ثالثها: سهولة الحفظ، وتيسير النقل؛ لأن حفظ كلمة ذات وجوه في الأداء أيسر من حفظ جمل من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات .

رابعها : في تعدد القراءات آية بالغة وبرهان قاطع على صدق

---

(١) هذا هو تفسير مكي للحروف السبعة ، وإن كان كلامه في تيسير القراءات يوحي بما أشرنا إليه من صلاحية كل الآراء في تفسير الحديث ما عدا الرأي القائل بأنها القراءات السبع .

الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمة الآية القرآنية ؛ إذ أنه برغم تعدد القراءات ، وتنوع الأداء لم يتطرق إليه تناقض ولا تضاد ، ولا تخالف بل يصدق بعضه بعضاً ، ويبين بعضه بعضاً ، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد ، وأسلوب واحد .

خامسها: فيه دلالة على عظمة هذه الأمة وشرفها التي تلقت هذا القرآن بحروفه المختلفة ، ووعته هذا الوعي ، وقامت بما ينبغي له من ضبط وإحكام ، ودقة في الأداء ، وتوفرت على وضع القواعد والأصول للعلوم التي من شأنها صيانة الكتاب العظيم ورعايته ، مما يجعل أعلام هذه الأمة محلاً لفضل الله ومثوبته وتكريمه .

سادسها: في تعدد القراءات سند لقواعد مختلفة نحوية وتصريفية مثل قراءة حمزة لقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله الذين تساءلون به والأرحامِ ﴾ بجر الأرحام فاستشهد بها من قال بجواز العطف على المجرور دون إعادة الجار ، ومنها قراءات تفسر معنى لغوياً في قراءة أخرى مثل قراءة ابن مسعود : (وتكون الجبال كالصوف المنفوش) فإنها مفسرة للقراءة الأخرى **سادسها** : ما يكون في حجة في قضية من قضايا العقيدة تأييداً لأهل الحق ، ودفعاً لأهل الزيغ وذلك كقراءة (رأيت نعيماً ومَلِكاً كبيراً) بفتح الميم ، وكسر اللام ، وهي قراءة ابن كثير وغيره ، وهي دليل واضح على رؤية اللّه في الدار الآخرة .

سابعها : تأثير اختلاف القراءات في الأحكام الفقهية .

اختلاف القراءات مجال خصب لآراء فقهية وتشريعية تدعم التشريع الإسلامي وتكسبه خصوبة ومرونة ، وطواعية في مواجهة مشكلات الحياة المتعددة والمتجددة .

وذلك على النحو التالي :

قد تأتي القراءة مبنية لحكم أجمع عليه الفقهاء كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره (وله أخ أو أخت من أم) ؛ إذ أن العلماء أجمعوا على أن الأخ في الآية هو الأخ لأم .

وقد تأتي مرجحة لحكم مختلف فيه ، كقراءة (أو تحرير رقبة مؤمنة) في كفارة اليمين فكان في هذه القراءة ترجيح لما اشترطه الشافعي من الإيمان في العبد المقرر عتقه .

وقد تكون للجمع بين حكمين مختلفين كقراءة (يَطْهُرْن) (ويَطَّهرن) بالتخفيف والتشديد ينبغي الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها ، وتطهر بالاغتسال .

وقد تقدم القراءات أحكاماً شرعية متعددة كقراءة (وأرجلكم) بالخفض والنصب فإن الخفض يقتضي فرض المسح ، والنصب يقتضي فرض الغسل ، فبينهما النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسح للابس الخف ، والغسل لغيره .

وقد تكون القراءة موضحة لحكم يقتضي الظاهر خلافه مثل (فاسعوا إلى ذكر الله) يقتضي ظاهرها المشي فجاءت قراءة (فامضوا الى ذكر الله) رافعة لهذا الوهم[1] .

القراءات واللهجات :

ثامناً : تقدم قراءات القرآن لدارسها سجلاً عن اللغات المنتشرة عند العرب ، واختلافاتها الصوتية وفي البنية والإعراب . .

---

(١) النشر ج ١ ص ٨٠ إلى ص ٨٢ بتصرف .

القراءات السبع ، والقراء السبعة
كيف نشأت فكرة القراءات السبع ؟

القراءات كثيرة ومتعددة تتجاوز المئات ، والقراء ورواتهم آلاف مؤلفة ، وظهرت فكرة تحديد أئمة وقراءات تكون مرجعاً لأهل الأمصار ، وقدوة لهم .

يقول مكي : إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد ، كثيراً في الاختلاف فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة وحسن الدين ، وكمال العلم ، قد طال عمره ، واشتهر أمره ، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل ، وثقته فيما قرأ وروى ، وعلمه بما يقرأ فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب اليهم ، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً إماماً هذه صفته وقراءته على مصحف ذلك المصر[1] .

هكذا شرح مكي الأسس التي قام عليها فيما بعد اختيار ما عرف بالقراءات السبع والقراء السبعة .

وقد ألف ابن جبير المقري كتاباً في القراءات وسماه : كتاب الثمانية ، ذكر فيه القراء السبعة المشهورين :

ابن عامر إمام أهل الشام .
أبو عمرو بن العلاء من البصرة .
وحمزة وعاصم والكسائي من الكوفة .
ونافع من المدينة .
وابن كثير من مكة .

---

(١) الإبانة ص ٨٦ .

وزاد عليهم يعقوب الحضرمي .

وكان عمل ابن جبير اتجاهاً من اتجاهات التحديد التي ظهرت في هذا العصر وأول من سبَّع السبعة أبو بكر بن مجاهد[1] وتابعه على ذلك من أتى بعده

وشاع أمر القراء السبعة ، والقراءات السبع .
وهذا التحديد أمر أكده العلماء .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة ، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد »[2] .

وهنا أمور لا بد من مناقشتها :
ماذا يعني التزام ابن مجاهد بالسبعة ؟
هل هذا التحديد يعني إهدار من سواهم ؟
ما القيمة العلمية لعمل ابن مجاهد ؟

أما التحديد بالسبعة فيمكن أن نجيب عنه بما يأتي :

١ ـ أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف ، ووجه بها إلى الأمصار ، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف .

٢ ـ أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة ، على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمنع ذلك لأن عدد الرواة

---

(١) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي ، شيخ القراء ، ولد سنة ٢٤٥ بسوق العطش ببغداد ، وتوفي سنة ٣٢٤ (طبقات القراء ج ١ ص ١٢٩) .
(٢) راجع النشر ج ١ ص ٩٧ .

الموثوق بهم أكثر من أن يحصى[1] .

فهدف ابن مجاهد مجرد الموافقة في العدد « لا لاعتقاده واعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة ، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم »[2] .

هذه هي الأسباب وراء التحديد بالسبعة .

ولا يعني إهدار من سواهم .

وما دام قد تبين لنا حكمة التحديد بالسبعة عند ابن مجاهد ومن تابعه فقد اتضح لنا بناء على هذا أنه لا يعني عدم توثيق من سواهم ، وذلك لأمور .

١ ـ لم تترك القراءة بقراءة غيرهم ، أو اختيار من أتى بعدهم إلى الآن مثل قراءة يعقوب الحضرمي[3] وعاصم الجحدري[4] ، واختيار أبي حاتم[5] وأبي عبيد[6] .

٢ ـ اختلاف وجهات النظر في السبعة زيادة ونقصانا ، يقول

---

(١) الإبانة ص ٩٠ .

(٢) النشر ج ١ ص ٩٧ .

(٣) يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري أحد القراء العشرة ، إمام البصرة ومقرئها ، وهو أعلم الناس بالحروف والنحو توفي سنة ٢٥٠هـ .

(٤) هو عاصم بن أبي الصبن الحجدري البصري ، قرأ على نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر توفي سنة ١٢٨هـ .

(٥) أبو حاتم السجستاني : سهل بن محمد بن عثمان إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة ، عرض على يعقوب الحضرمي ، وروى عن الأصمعي (ت سنة ٢٥٥) طبقات القراء جـ ١ ص ٣٢٠ .

(٦) أبو عبيد القاسم بن سلام الحراساني الأنصاري صاحب التصانيف الكثيرة في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر ، ورحل في طلب العلم توفي سنة ٢٢٤ وطبقات القراء جـ ٢ ص ١٧ .

مكي : « والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره ، وكان السابع يعقوب الحضرمي فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في موضع يعقوب[1] ، وتم ذلك في عصر المأمون .

وفي كلام ابن تيمية الذي نقله عنه صاحب النشر جاء فيه قوله : ولهذا قال بعض من قال من أئمة القراء : لولا أن ابن مجاهد سبقني الى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين[2] .

كما نقل صاحب النشر عن مكي : وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سببين ممـن هو أعلى رتبة وأجل قدراً من هؤلا السبعة ، على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة » ثم ذكر مكي أمثلة لذلك ، فذكر أبو حاتم الذي ترك ذكر حمزة والكسائي وابن عامر وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق السبعة ، وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات له على هؤلاء نحو خمسة عشر رجلاً[3] .

٣ ـ مما أجمع[4] عليه علماء الإسلام والأئمة المتبعون للسلف أنه لا يتعين القراءة بهذه القراءات في جميع أمصار المسلمين ، فمن ثبت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة ،أو قراءة يعقوب الحضرمي ونحوَهما كما ثبت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتد بهم ، والمعدودين من أهل الإجماع والخلاف .

---

(١) الإبانة ص ٣٩ ، والنشر جـ ١ ص ٩٣ .

(٢) النشر ج ١ ص ٩٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٢ .

(٤) ذكر هذا الإجماع صاحب النشر ج ١ ص ٩٧ .

فمتى توافر في القراءة شروط القبول قرىء بها ولو كانت لغير السبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد.

القيمة العلمية لعمل ابن مجاهد . .

لكن هذا العمل الذي عمله ابن مجاهد له قيمة علمية كبيرة .

هو أنه وضع أمام الجماهير المسلمة أنماطاً محددة من القراءات معتداً بها ، دفعا لما يترتب على اختلاف القراءات الكثيرة من نوع من الفوضى لدى غير الواعين بأبعاد هذا العلم فقد سَنَّ منهج التحديد ، وهو نافع بلا ريب .

وجاء بعده من ذكر القراءات العشر ، وقراءها ، وأضاف الى السبعة أبا جعفر المدني ، وأبا يعقوب البصري ، وخلفا العاشر البغدادي .

ويبدو لنا من خلال النصوص السابقة أن العلماء الذين جاءوا بعد ابن مجاهد ارتضوا عمله ، ووافقوا عليه وتلقوه بالقبول ، وقد أسلفنا قول من قال : لولا ابن مجاهد سبقني الى حمزة لجعلت مكانه يعقوب . .

وثمرة صنيع ابن مجاهد باقية إلى عصرنا الحاضر فيما نراه من الدقة والانضباط[1] واجتماع العالم الإسلامي على الشاطبية والتيسير ، مع علمنا بقيمة القراءات الأخرى التي استوفت شروط القبول .

---

(١) راجع السبعة لابن مجاهد ـ مقدمة د. شوقي ضيف ص ٢٣ .